بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٣٣)

شدة الوجل من عدم قبول العمل

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١] أما بعد:.

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

أيها الناس :

يقول الله تعالى﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦١]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله خائفون منه، وجلون من مكره بهم، كما قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا...وقوله﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:٦٠] أي: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء. وهذا من باب الإشفاق والاحتياط .ا.ه [(١)]

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال الحسن : يؤتون الإخلاص ويخافون ألا يقبل منهم. ا.ه[(٢)]

و أخرج الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قالت :سألت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [سورة المؤمنون:٦٠] قالت عائشة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون

(١) . تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٥ / ٤٨٠)

(٢) . تفسير القرطبي - (١٢ / ١٣٢)

ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ صححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.(١)

فتأمل إلى شدة وجلهم وعظيم خوفهم من ربهم عز وجل ألا يقبل عملهم مع إحسانهم وتقواهم ،وهذا حال أهل الإيمان والتقوى .

فإن المؤمن كلما ازداد علمه وعمله ازدادت خشيته لربه وتقواه قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨]

وازداد وجله من عدم قبول عمله ورد طاعته عليه ، والله المستعان.

عقد الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه فقال : باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر،وقال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي على علمي إلا خشيت أن أكون مكذّباً" ، وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل.ويذكر عن الحسن: ما خافه إلا مؤمن، وما أمنه إلا منافق.ا.هـ(٢)

وقال الله تعالى حاكيا عن خليله إبراهيم وولده أنهما يقولان حال رفعهما لقواعد بيته سبحانه﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة:١٢٧]

(١) . صحيح .الترمذي [٣١٧٥] صحيح الترمذي - (٣ / ٧٩)

(٢) . " بَاب: خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ "[٣٥]

فهذا خليل الرحمن يرفع القواعد لبيت الله الحرام وهو مشفق ألا يقبل منه ، ويتوسل إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يقبل منه عمله ذلك خوفا ووجلا أن يُرد ،فكيف بحالنا نحن.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فهما في عمل صالح، وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما، كما روى ابن أبي حاتم عن وهيب بن الورد: أنه قرأ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة:١٢٧] ثم يبكي ويقول: يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مُشْفق أن لا يتقبل منك.ا.هـ[(١)]

وقال الله عنه أنه يقول﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم:٤٠]

وقال تَعَالَىٰ عن أم مريم عليها السلام﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران:٣٥]

ونبيك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان يقول كما من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عند الإمام أحمد وصححه الألباني والوادعي رحمهم الله " رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي "[(٢)]

(١) . تفسير ابن كثير / دار طيبة – (١ / ٤٢٧)

(٢) . صحيح .أحمد [١٩٩٧] «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/ ٦٥٦)الصحيح المسند [٦٠٦]

ويقول عند الذبح أو النحر: " **باسم الله اللّٰهم تقبل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد** "أخرجه مسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(١)]

ولقد كان السلف رحمهم الله تعالى يدعون الله بعد رمضان ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان، وما هذا والله إلا لفقههم وعلمهم بِعِظَمِ الأمر وشدته وعدم اغترارهم بأنفسهم، واعترافهم بتقصيرهم مع حرصهم على كمال أعمالهم وإتمامها، فيا ليت شعري ما نقول نحن والله المستعان.

ولذلك شرع الله لنا خلف كثير من الأعمال الصالحة الإكثار من الاستغفار ليسد الخلل والنقص الحاصل فيها ، ففي الصلاة قال سبحانه ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء:١٠٣]

وكان من هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه يستغفر الله بعد فراغه من الصلاة [(٢)]

وفي الحج قال الله تعالى﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة:١٩٩]

وبعد قيام الليل قال الله مثنيا على خيار عباده راضيا عنهم بفعلهم ذلك ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات:١٨]

وفي ذلك تنبيه للعبد إلى تقصيره وخلله في عمله فيجبر ذلك النقص بالاستغفار إلى الملك ليسد الخلل ويغفر الزلل بفضله ومنته وكرمه.

---

(١) . " بَابُ اسْتِحْبَابِ الضَّحِيَّةِ وَذَبْحِهَا مُبَاشَرَةً بِلَا تَوْكِيلٍ وَالتَّسْمِيَةِ وَالتَّكْبِيرِ"[١٩٦٧]

(٢) . " باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفة"[٥٩٤]

يقول ابن القيم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: عَلَامَةُ قَبُولِ عَمَلِك احْتِقَارُهُ وَاسْتِقْلَالُهُ، وَصِغَرُهُ فِي قَلْبِك؛ حَتَّى إنَّ الْعَارِفَ لَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عُقَيْبَ طَاعَتِهِ. وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ ثَلَاثًا. وَأَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ عُقَيْبَ الْحَجِّ. وَمَدَحَهُمْ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ عُقَيْبَ قِيَامِ اللَّيْلِ. وَشَرَعَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عُقَيْبَ الطُّهُورِ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ. فَمَنْ شَهِدَ وَاجِبَ رَبِّهِ وَمِقْدَارَ عَمَلِهِ وَعَيْبَ نَفْسِهِ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ اسْتِغْفَارِ رَبِّهِ مِنْهُ، وَاحْتِقَارِهِ إيَّاهُ، وَاسْتِصْغَارِهِ ".ا.هـ[1]

وتأمل قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف:١٦]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: هؤلاء المتصفون بما ذكرنا، التائبون إلى الله المنيبون إليه، المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار، هم الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا، ويتجاوز عن سيئاتهم، فيغفر لهم الكثير من الزلل، ويتقبل منهم اليسير من العمل،﴿ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ﴾[سورة الأحقاف:١٦] أي: هم في جملة أصحاب الجنة، وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله من تاب إليه وأناب؛ ولهذا قال:﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [سورة الأحقاف:١٦] .ا.هـ[2]

(١) . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – (٢ / ٦٢)

(٢) . تفسير ابن كثير / دار طيبة – (٧ / ٢٨١)

فيا معاشر أهل الإسلام اعلموا وفقكم الله أن للشيطان على قلب العبد مدخلان عظيمان وهما سبب هلاكه وعذابه عياذا بالله تعالى أحدهما :الرياء ،والآخر العُجب

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :لا شيء أفسد للأعمال من العجب ورؤية النفس فإذا أراد الله بعبده خيرا أشهده منته وتوفيقه وإعانته له في كل ما يقوله ويفعله فلا يعجب به ثم اشهده تقصيره فيه وأنه لا يرضى لربه به فيتوب إليه منه ويستغفره ويستحي أن يطلب عليه أجرا وإذا لم يشهده ذلك وغيبه عنه فرأى نفسه في العمل ورآه بعين الكمال والرضا لم يقع ذلك العمل منه موقع القبول والرضا والمحبة فالعارف يعمل العمل لوجهه مشاهدا فيه منته وفضله وتوفيقه معتذرا منه إليه مستحيا منه إذ لم يوفه حقه والجاهل يعمل العمل لحظه وهواه ناظرا فيه إلى نفسه يمن به على ربه راضيا بعمله فهذا لون وذاك لون آخر.ا.هـ[1]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : رضاء العبد بطاعته دليل على حسن ظنه بنفسه وجهله بحقوق العبودية وعدم علمه بما يستحقه الرب جل جلاله ويليق أن يعامل به.ا.هـ[2]

فإن لله في العمل حقوقا كثيرة لا يدري العبد أقام بها كلها أم لا وأَنَّى له ذلك إلا من وفقه الله تعالى وأراد به خيرا ورحمة.

من إخلاصه لربه ومتابعته لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وإحسانه فيه وتقواه له سبحانه ف﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧]

(١) . الفوائد – (١ / ١٥٣)

(٢) . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – (١ / ١٧٥)

ومن منا يجسر أو يتجاسر أن يقول أنا منهم جزما .

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : رعاية الأعمال توفيرها بتحقيرها والقيام بها من غير نظر إليها وإجراؤها على مجرى العلم لا على التزين بها.ا.هـ[١]

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كونوا لقبول العمل أشد هَمًّا منكم بالعمل ، ألم تسمعوا الله يقول ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧] [٢]

ويقول ابن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الخوف على العمل أن لا يتقبل أشدُّ من العمل"[٣]

وإذا كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهو من هو ؟ إمام المتقين يقول كما في البخاري عن أم العلاء الأنصارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : " وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَا يُفْعَلُ بِي". قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بعد أَبَدًا " [٤]

فكيف لايوجل المؤمن من عدم قبول عمله ورده عليه وهذا حال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : انصرفنا مع رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ – إلى وادي القرى ونزلنا بها مع غروب الشمس ، ومع رسول الله غلام أهداه له رفاعة بن زيد ، فو الله إنه ليضع رحل رسول الله إذ أتاه سهم

(١) . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – (٢ / ٦٢)

(٢) . حلية الأولياء ٤٣٠ – (١٠ / ٣٨٨)

(٣) . حلية الأولياء ٤٣٠ – (٢ / ٣٧٧)

(٤) . " بَاب: الدُّخُولِ عَلَى الْمَيِّتِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِذَا أدرج في كفنه"برقم[١١٨٦]

غرب (طائش) فأصابه فقتله فقلنا : هنيئاً له الجنة . قال – صلى الله عليه وسلم – : " كلا والذي نفسي بيده ، إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً " [١]

ولما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لكعب بن عُجْرة وقد ذهب يعوده في مرضه (أَبشرْ يا كعبُ! فقالَتْ أمُّه: هنيئاً لكَ الجنَّةُ يا كعبُ ! فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: من هذه المتألّيةُ على الله ؟ ! قالَ : هيَ أمّي يا رسول الله! فقال : وما يدريك يا أمَّ كعب ؟ ! لعلَّ كعباً قال ما لا يعنيه، أو منعَ ما لا يُغنيهِ) .رواه ابن أبي الدنيا وحسنه الألباني [٢]

وعن أنس أيضا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُقال استشهد رجل منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت :هنيئا لك يا بني الجنة .فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ "ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره" أخرجه ابن أبي الدنيا وحسنه الألباني رحمه الله تعالى [٣]

أسأل الله بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يمن علينا وعليكم بالقبول والتوفيق وأن يرزقنا خشيته في الغيب والشهادة وأن يثبتنا على طاعته ودينه والحمد لله رب العالمين.

---

(١) . البخاري " باب: غزوة خيبر "برقم [٣٩٩٣]مسلم " بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ"برقم [١١٥]

(٢) .حسن .ابن أبي الدنيا [١١٠] السلسلة الصحيحة – [٣١٠٣]

(٣) . حسن .ابن أبي الدنيا [١٠٩] «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٩٧)

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على نبيه وخليله ومن سار على دربه وهديه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

وتأملوا إلى حال السلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ووجلهم من ذلك وعدم إعجابهم بعملهم

خرَّج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُقال : لأن أستيقن أن الله تقبل مني صلاة واحدة أحب الي من الدنيا وما فيها إن الله يقول ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧]. (١)

ويقول عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: لو علمت ان الله تقبل مني سجدة واحدة أو صدقة درهم لم يكن غائب أحب الي من الموت. ا. ه (٢)

ويقول عبد العزيز بن أبي رواد رَحِمَهُٱللَّهُ: أدركتُهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهمُّ: أيقبل منهم أم لا؟.وعن عبيد بن عمرو ، أنه سمع فضالة بن عبيد ، يقول : لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل

(١) . الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي - (٥ / ٢٦٢)

(٢) . الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي - (٥ / ٢٦٥)

أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله يقول ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧]..[١]

هذا حال أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وخوفهم ووجلهم وهم خير القرون يتمنون قبول صلاة واحدة والآخر مثقال حبة من خردل، وهم أبر الناس قلوبا وأصدقهم نية وأكملهم تقوى فمابالك بمن بعدهم.؟

وكيف يُعجب العبد بعمله ويمن به على ربه وهو إن عمل فإنما عمله ذلك هو محض منة الله تعالى عليه وتفضله قال الله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨]

وقال سبحانه ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحُجرات:١٧]

كيف يمن العبد على ربه بعمله ويُعجب بذلك وهو لا يساوي شكر نعمة واحدة من نعمه سبحانه وتعالى فعن عتبة بن عبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ " لو أن رجلا يُجَرُّ على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرما في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة ".أخرجه أحمد وحسنه الألباني[٢]

قال المُناوي رَحِمَهُٱللَّهُ : لما ينكشف له عيانا من عظيم نواله وباهر عطائه.ا.ه[٣]

فعلى ما تُعجب يا مسكين بعملك وأنت لا تدري هل قبل منك أم لا.؟؟؟

---

(١) . لطائف المعارف فيما المواسم العام من الوظائف – (١ / ٢٣٢)

(٢) . إسناده جيد .احمد [١٧٦٤٩] السلسلة الصحيحة برقم [٤٤٦]

(٣) . التيسير بشرح الجامع الصغير (٢ / ٥٩٢)

فكن على وجل وكن على خوف من رده فكم قطعت نِياط قلوب أهل البصائر هذه الآية ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر:٤٧]

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : من أجل ما روي فيه ما رواه منصور عن مجاهد قال : عملوا أعمالا توهموا أنها حسنات فإذا هي سيئات... وقال سفيان الثوري في هذه الآية : ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء هذه آيتهم وقصتهم. وقال عكرمة بن عمار : جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعا شديدا ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ قال : أخاف آية من كتاب الله﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر:٤٧] فأنا أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب. ا.هـ [(١)]

فمن يأمن على نفسه من عدم فساد نيته وخرابها وسوئها وهي تتقلب على العبد في كل طرفة عين ، وإن لم يجاهدها العبد في كل وقت وحين أوردته المهالك والموارد ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف:٥٣]

ولذا كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كثيرا ما يستعيذ بالله من شرها في كل خطبه أو جُلِّها كما من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي الْخُطْبَةِ "الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ"[(٢)]

---

(١) . تفسير القرطبي – (١٥ / ٢٦٥)

(٢) .صحيح.السنة لابن أبي عاصم [٢٥٨] «السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني» (١/ ١١٤)

بل وكان يعلم أصحابه ذلك فعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:علمنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الحاجة "أن الحمد لله ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له" (١)

ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال :"يا أبا بكر ! قل : اللّهم فاطر السموات و الأرض عالم الغيب و الشهادة لا إله إلا أنت رب كل شيء و مليكه أعوذ بك من شر نفسي و من شر الشيطان و شركه و أن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم" .أخرجه أحمد وصححه الوادعي والألباني. (٢)

فلا تأمن على نفسك من نفسك أيها العبد فإن لها مطامع ولها أغراض قلَّ من يسلم منها وإنما كان الإخلاص صعب على النفس لأنه ليس لها فيه مطمع ولذا كان قليل من يسلم من عدم فساد نيته فيه، وإنه لأمر عصيب والله أن يَجِدَّ العبد ويجتهد في العمل ثم تخونه نفسه بقصد وغرض رديء فيجد عمله ذلك قد أُفسد بسبب خبيئة نفسه وسؤ قصد نيته ونعوذ بالله أن نكون ممن يدخل في هذا الحديث العظيم المُخِيف والله.

عن سليمان بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ قال : تفرق الناس عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له ناتل أهل الشام أيها الشيخ حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال

(١) . صحيح .أبي داود [٢١١٨] صحيح أبي داود – (٦ / ٣٤٥)

(٢) . صحيح.أحمد [٥١] الصحيح المسند [١٣٣٣] السلسلة الصحيحة [٢٧٥٣]

نعم سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يقول " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار ".[1]

وفي رواية الترمذي أن أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُقال : لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته ثم نشغ أبو هريرة نشغة فمكث قليلا ثم أفاق فقال لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى ثم أفاق فمسح وجهه فقال لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى ثم أفاق ومسح وجهه فقال

(١) . " بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ " برقم [١٩٠٥]

أفعل لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحد غيري وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ثم مال خارا على وجهه فأسندته علي طويلا ثم أفاق فقال وذكر الحديث ،ولما حدث معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بهذا الحديث قال: قد فعل بهؤلاء هذا ، فكيف بمن بقي من الناس ، ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هالك ، فقال بعض جلسائه : قد جاءنا هذا الرجل بشر-أي الذي ذَكَّر معاوية بالحديث- ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه،وقال: صدق الله ورسوله﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [هود:١٦]صححه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ. (١)

يقول ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: ابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله فإنه يبقى ويذهب ما سواه". (٢)

فيا معاشر أهل الإسلام إننا والله لنخشى دخولنا تحت قوله جل وعلا﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف:١٠٤]

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ : وهذا حال أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عز وجل أو على غير سنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ. ا.هـ (١)

(١) . صحيح.الترمذي [٢٣٨٢] صحيح وضعيف سنن الترمذي - (٥ / ٣٨٢)

(٢) . جامع العلوم والحكم (٣ / ٢٩)

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية:٤]

وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان:٢٣]ا.هـ (٢)

أما والله لولا حسن ظننا بربنا سبحانه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٧١﴾ [آل عمران:١٧١]

لما رجونا قبول عمل واحد ، ولكن المؤمن يعمل العمل وهو يحسن الظن بربه سبحانه أنه لن يخذله ولن يرده خائبا ، وأيضا خائفا وجلا من عدم قبوله لعمله، فيحرص على إحسان العمل وهو يرجو رحمة ربه وقبوله.

أسأل الله أن يرزقني وإياكم الإخلاص والسداد في القول والعمل

وأن يتقبل منا ومنكم سائر أعمالنا واقوالنا إنه جواد عفو كريم.

والحمد الله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله وآله وصحبه وسلم

(١) . اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (١ / ٤٠)

(٢) . تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٥ / ٢٠٢)